ترجمة المصطلح. مح2

ترجمة المصطلح النقدي المحاضرة الأولى

**في ثقافة الترجمة**:

يعد المصطلح أداة تواصل يمكن من التعبير عن معنى أو فكرة أو موضوع. في أرضية موضوعية مخصوصة.

و هو لفظٌ يشترط فيه الوضوح، و محكوم بالضبط و الدقة، وإلا جنى على الدلالات وتحول عن دوره. والمصطلح النقدي كغيره من مصطلحات الفنون الأخرى، بما فيها اللغة والأدب و البلاغة، يشتغل بواسطة آليات وطرائق أهمها النحت و الاشتقاق.

وليس من العسير ملاحظة غياب التناغم و التكامل بين جمهور المشتغلين بالترجمة أصالةً أو إضافةَ، من نقاد وباحثين ، و هو خلل يعود في جملته إلى اختراق حقل الترجمة من قبل غير المؤهلين لها، ومن اختلاف تكوين المترجمين ومستعمليه ، و كذا التنوع المائز بين مصادر البيئة المعرفية الاولى التي ينبثق منها هذا المصطلح أو ذاك.

ثم إن لتعدّد المدارس ، والمشارب، وللتباعد اللغوي نفسه، بين اللغة المنقول منها واللغة المنقول إليها دخلا في تفاقم هذا الإشكال واتساعه في عميلة الترجمة. و قد أثار ذلك قدرا كبيرا من الجدل والاختلاف، بين المترجمين هواةً ومتخصصين.

دعت هذه الظاهرة، وما فيها من خلل، إلى أن يستبين الدارسون الخلل و يتحققوه.

لا شك أن ثقافة المصطلح ليست دخيلة على المنظومة العربية الإسلامية، من أيامها الأولى، يعني من لدن عصر التدوين وما لحقه من فترات الإيجابية والإجادة الفكريتين والثقافيتين، فعلى المستوى الذي نتحدث فيه، هناك حضور للمصطلح لا مراء فيه، لأنه جاءنا من الانفتاح على الآخر، ومن حركة التأليف قرينة التعالق مع الآخر، يونانيا وغيره، ومن هاجس الابتكار الذي طبع حياتنا الثقافية والفكرية والدينية ، وكان الترجمة إبانها مدا إبداعيا يلح على الحضور الذي كان فيه للحضارة العربية حال ليس بالإمكان نكرانها.

كان لقوة المصطلح الذي رافق المنجز الأدبي تحديدا، من الحياة ما مكنه من الخلود، و الاستقرار، و الثبات، والفاعلية في صناعة الكينونة المعرفية التي أصلت الفعل الترجمي بصفته الوجه الحقيقي للفعل الثقافي العربي، الذي لم يلبث أن أصبح عالميا، فعالا في المنجز الثقافي العربي الإسلامي.

و في المجال التداولي، من الناحية العملية، نجد حركية هيمن فيها المصطلح النقدي لا بصفته وافدا، لكن بصفته منبجسا من البيئة الأدبية والثقافية التي تتحدث به، وتوظفه وتورّده لبيئات أخرى كانت تستمد منها أصول الفعل الثقافي وفروعه، كما امتد ذلك من شرق العالم الإسلامي (العراق) إلى غربه (الأندلس )، على سبيل المثال.

على أساس من ذلك لن يكون من الموضوعية الحديث عن المصطلح الأدبي بصفته، من التاريخية، وافدا، بل هو أصيل في الثقافة العربية وإن اختفت أصالته الفعلية في الراهن الأدبي المحكوم بهيمنة الغرب على الصعد التي نعرف.

لا يمكن تجاوز المنجز الترجمي الغربي، ولا يمكن إنكار هيمنته كونيا، لأن انتشاره عائد بأسبابه إلى اعتبارات ثقافية وإيديولوجية، واقتصادية، وفكرية إلى آخر اللائحة، على أنها هيمنة تستمد مرجعيتها من غياب البدائل غير الغربية، ( عربية وغيرها)، ومن غياب من ينتج هذا البدائل من شعوب مغلوبة على أمرها ثقافيا، كما غلبت على أمرها في سائر المجالات.

هناك سؤال يلح في طرح نفسه: ما السبيل إلى النهوض بالفعل الترجمي، وهل هناك إمكان أصلا لهذا النهوض، في حال النكوص الثقافي العربي؟

يتعلق الأمر بإنشاء منظومة ثقافية مستقلة، لا يبتعد استقلالها عن معنى استحداث منظومة ثقافية قوية داخلية، لا تنفصل عن المنجز المعرفي العالمي، ولا تدير ظهرها إلى الفعل الحضاري الذي يسير العالم على وتيرته اليوم.

كما يدعو الأمر إلى تنشيط الطاقات المفكرة، وتمكينها من الإنجاز وفقا لأصولها، بعيدا عن الإكراهات الإيديولوجية التي يدير الغرب بها إيقاعات العالم، التي هي محسوبة بمصالحه لا بمصالح غيره.

لعل عنوان هذا التمكين للمنظومات الجديدة، هو إنشاء مدارات البحث والتنقيب، ووضع الإمكانات المادية، وتسخير الطاقات الفكرية في سبيل النهوض، بعيدا عن احتوائها لحساب السياسة وما يشبهها.

شهد الغرب نهضته، في جزء منها على الأقل، لما فطن إلى فكرة إنشاء المخابر، للإطلالة على منجزات غيره، بما في ذلك منجزات الشرق، وفطن إلى تأطير جهود مفكريه في إطار منابر للبحث والتأليف، ومنائر للالتقاء بالآخر وإن كان غريما، للاستفادة من جهوده وحتى السطو عليها، وإن بالقوة وغطرسة الاحتلال. ما نراه من إنجازات الغرب، الآن، تأليفا وترجمة، لا يخرج عن هذا المعنى، وهو شيء يعرفه مؤرخو الأفكار وأهل المقارنة بينها.

حاولت جهود عربية اقتفاء الغرب في إعداد مؤسسات للترجمة، ولكن الغالب على الجهود العربية فردي لا يقف وراءه قرار من سلطة أكاديمية، ولا إمكانات من خزائن تمكن للفعل الترجمة وحتى الفكري الآخر. يرى بعض الباحثين، وهو على حق، أنه « **من المؤسف أن يظل الاجتهاد العربي طائشاً في متاهة دامسة كهالة تحيط بدائرة البحث الناجح الفاعل مذبذباً دون أن يستقر ذلك الاجتهاد في قراره المكين ويلج في تلك الدائرة.»**

وهو على حق لما يقول: «**من المسائل العالقة**... **أيضا البحث عن السبل الجادة في توظيف المصطلحات النقدية من حيث وجودها في المدّونة النقدية العربية و الغربية قديماً وحديثاً، مقابل غياب حركية التلقّي الناجحة، و بالأخص في الدراسات العربية المعاصرة.**»

ثم يرصد مجموعة مصطلحية طالها التجاوز المفهومي، كما نالها من سوء الترجمة ما جنى على التنظير وعلى التطبيق معا، وهي: « **الأدبية، التحّول، الإيقاع، المصطلح النقدي، التراث النقدي، ترجمة المصطلح النقدي ، توحيد المصطلح النقدي، قراءة المحدثين لمقاييس النقد القديم، منظومة التشّظي ومدّونة التشرذم، انشطار التلقّي و تيه المتلقّي في مفازة المصطلح النقدي، المصطلح النقدي العربي وسراب الوحدة و التو ّحد، المصطلح النقدي و فاعلية الحكمة النقدية لدى الدارسين العرب المحدثين و المعاصرين والشاعرية والشعرية**... »

هذا الذي توجه إليه هذه المحاضرة، وإلى إثارة الوعي بأهمية الترجمة تهدف. لا يمكن تصور منظومة نقدية أدبية قوية وفاعلة في غياب ذلك.